الأوائل في حضارة الإسلام

١٦

نعيم بن مسعود

رائد الحرب النفسية في الإسلام

تأليف

سيف الدين الكاتب

الأوائل
في حضارة الإسلام
"وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس"

١٦

نعيم بن مسعود رضي الله عنه

رائد الحرب النفسية في الإسلام

تأليف
سيف الدين الكاتب

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لدار الآفاق الجديدة

الطبعة الأولى

١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه فمنهم مَنْ قضى نَحْبَهُ ومنهم مَنْ ينتظِرُ وما بدّلوا تبديلاً * ليجزيَ اللهُ الصادقينَ بصدقِهِمْ ويعذِّبَ المنافقينَ إنْ شاء أو يتوبَ عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً * وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظِهِمْ لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتالَ وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ .

ـ سورة الأحزاب : ٢٣ ـ ٢٥ ـ

- ١ -

« ما كان اللهُ ليذرَ المؤمنينَ على ما أنتم عليهِ
حتى يَميزَ الخبيثَ من الطيب » . .

ـ القرآن الكريم ـ

كان يومَ بلاءٍ ومحنةٍ وتمحيص . . .
وكان درساً صارماً في الطاعةِ والضبطِ والالتزام . .

إنه يومُ (أُحُدٍ) . . ذلكَ اليومُ الذي ابتلى اللهُ به المؤمنين . . وامتحنَ به المنافقين . . ممن كان يُظهر الإيمانَ . . ويستخفي بالكفر . .

وكان درساً في الطاعةِ . . لأنها كانت هي المؤشرَ على عمق الإيمان . . والالتزامِ بالإسلام الصادق . . ولقد كان درساً صارماً . . لأنَّ أسلوبَهُ اقتضى أن يُجندَلَ سبعونَ من فرسان المسلمينَ . . بعصيانِ بعضِ الرماةِ أوامرَ الرسول القائد . . صلى الله عليه وسلم . . .

لقد جاءت هزيمة (أحدٍ) تعليماً هادفاً للمسلمين . . عبر دروبِ صراعهِم المريرِ ضدَّ الأعداءِ . . وكأنَ إرادةَ اللهِ شاءت أن يكبُوَ المسلمونَ هذه الكبوةَ . . بعد سلسلةِ الانتصاراتِ التي أحرزوها قبيل بدرٍ وبعدَها . . لأنَّ الانتصارَ الدائمَ يعرِّضُ الجماعةَ لنوعٍ من اليقينِ الأعمى . . والاتكاليةِ السلبيةِ . . ويحشر

في صفوفهم الكثيرَ الكثيرَ من ضعافِ الإيمانِ . . وطلاّب المغانم . .

فكان لا بدّ منْ هزّةٍ عنيفةٍ تغربلُ المنتمين إلى دعوةِ الإسلام . . وتُسقط من بينهم أولئك الذين لا يقدرونَ على الصمود ومجابهةِ الخطر وجهاً لوجهٍ . . وممارسة الموت بإيمان شامخ . . . إن لم يكن ثمة التزامٌ صادقٌ . . يؤمِّنْ تماسُكَ الصفِّ الإسلامي . . .

ولقد ظلَّ القرآنُ الكريم . . الذي خصّص الكثير من آياته في سورة (آل عمران) لهذه التجربة المرّة . . ظلَّ طيلةَ الفترةِ المدنيةِ . . كما كان شأنُه في مكة . . يعلِّمُ المسلمين بالتجارب . . ويبني حركتَهُمْ بالهزائم والانتصارات . . وتتنزّلُ آياتُه مفرّقةً وعلى

تتنزَّلُ لكي تمتزجَ مع حيوية التجربة . . وواقعيتها وثقلها . . كما يكون الارتباطُ الشرطيُّ ـ الذي أشار إليهِ علمُ النفس ـ . . حيث ترتبط القيمُ والتعاليمُ بحدثٍ خطيرٍ له في النفوسِ وقْعٌ خطيرٌ . . لتستقرَّ من ثمَّ في أعماقِ النفوسِ وتصبحَ بعد ذلك جزءاً من التصور الإسلامي . . الذي تتحرك الجماعةُ المسلمةُ وفقه على بصيرةٍ وهدى . . .

ولكن ماذا بعد (أُحُد) ؟! . .

قدِم رهطٌ من (عضل) و (القارة) على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . . فزعموا أنَّ فيهم إسلاماً . . وأنهم في حاجةٍ إلى أن يرسلَ معهم من يعلِّمهم شرائع الإسلام . . ويُقرئهم

القرآن . . فبعث رسولُ اللهِ معهم نفراً من أصحابهِ . . حتى إذا كانوا عند ماءٍ لهذيلٍ يقالُ له (الرجيع) غدروا بأصحابِ رسولِ الله . . فاستصرخوا عليهم (هذيلاً) . . ثم ما لبثوا أن قتلوا بعضهم . . وأسروا آخرين فباعوهم في مكة للمشركين . . لينالَ المشركون منهم بعضَ ثأرهم لقتلى لهم يوم بدر . .

ثم كانت حادثةُ (بئر معونة) . . حيثُ غدَرَ بعضُ مشركي أهلِ نجدٍ ببعضِ أصحاب رسولِ الله ﷺ لما بعثهم معهم . . وكان لهاتين الحادثتين أثرٌ في نفس النبي الكريم . . وأصحابهِ . . حتى لقد حزنوا لذلك حزناً شديداً . . وامتلأت قلوبُهم غيظاً . . لما تكشّف لهم من خسةِ الوثنيةِ ودناءتها وحقدها الدفين . . .

المسلمين .. لم يفقد الرجالُ الواثقونَ صلتَهُمْ بربهم .. واطمئنانَهم إليه .. وتحرّك اليهودُ في هذه الآونةِ لاغتيالِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .. فشمّر لهم .. ليردّ عليهم الضربةَ بمثلها .. فأجلى « بني النضير » عن المدينة .. وقد حاولَ رأسُ المنافقين (عبدُاللهِ بن أبيٍّ بنِ سَلول) أن يحرّضهم على قتال النبي الكريم وصحبِهِ .. ولكنّ اللهَ أظفر رسولَهُ باليهود .. فأجلاهم عن المدينةِ بما حملت إبلهم من أموال .. ما عدا السلاح ... وبذلك النصر الذي أحرزهُ المسلمون دونَ تضحيات .. توطّد سلطانُهم في المدينةِ .. وتخاذلَ المنافقون عن المجاهرة بكيدهم .. وأمكن لرسول الله ﷺ أن يتفرّغ لقمع الأعراب الذين آذوا المسلمين ..

وغدروا بهم بعد (أحد) . . وتواثبوا على بعوث الدعاةِ يقتلون رجالها في نذالةٍ وكفران . . .

وفي ذي القعدة من السنة الرابعة للهجرة . . كان العام قد استدار . . وحان الموعدُ الذي ضربَهُ المسلمون مع أبي سفيان للقاءٍ جديدٍ عند (بدرٍ) . . وذلك يوم قال أبو سفيان في (أحد) . . الحرب سجال . . يوم بيوم بدر . .

وخرج رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على رأس ألف وخمسمئة من أصحابه . . وأقام ثمانية أيامٍ ينتظر أبا سفيانَ . . الذي كان قد خرج من مكة على رأس جموعِ الشرك . . ثم لما بلغَ (الظهران) . . بدأت تساورهُ المخاوف من لقاء المسلمين . . وأخذ يفكر في الرجوع قائلاً :

عامٌ خصب ترعونَ فيه الشجر . . وتشربون اللبن . . وإنَّ عامكم هذا عامُ جَدْبٍ . . وإني راجعٌ فارجعوا . . .

فقفَلوا عائدينَ إلى مكة جميعاً . . إذ لقيت كلمةُ أبي سفيان من المشركين أذناً صاغية . . كيف لا . . وهم يعلمون أن ما أصاب المسلمين في (أحدٍ) كانت وراءه أسبابٌ طارئةٌ . . ويعلمون أنَّ خروجَهم في ذلك اليوم رغم ما أصابهم . . يعني الإصرارَ على القتال البطولي . . الذي أذهل المشركين في بدر وأحدٍ جميعاً . . .

وعندما أيقن الرسول صلى اللهُ عليه وسلم أنَّ أبا سفيان . . قد نكل عن الموعد . . رجع بالمسلمين إلى المدينةِ . . وقد حقق نصراً معنوياً

ضدَّ قريشٍ . . كما عزَّزَ مكانةَ المسلمين في الصحراء . . بعدما طرأ عليها من تأرجحٍ في أعقاب (أُحد) . . .

وانطلق الرسولُ صلى الله عليه وسلم في أعقاب ذلك صوبَ قبائل نجدٍ . . رداً على ما لحِقَ بدعاتهِ في مأساتَيْ (الرجيع) و (بئر معونة) . . فكانت غزوة (ذات الرقاع) . . .

إلا أن (غطفان) كبرى قبائل « نجد » جمعت للرسولِ جمعاً عظيماً . . وعندما تقارب الطرفانِ . . تخوَّف أحدُهما الآخر . . ورأى رسولُ الله ﷺ أنّ من المجازفة أن يشتبكَ مع قواتٍ تفوقُ المسلمين أضعافاً مضاعفةً . . فقفل عائداً إلى المدينة . . .

❊ ❊ ❊

- ٢ -

« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما
وعدنا اللهُ ورسوله . . وصدق الله ورسوله . .
وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً » .

ـ القرآن الكريم ـ

كان إجلاءُ « بني النضير » عن المدينة . . بمثابةِ الفتيل الذي أشعلَ الحقدَ اليهوديَّ الذي كانت تتميزُ به صدورُهم منذ أن وطىء المسلمون أرضَ المدينةِ . .

ومن هنا فقد خرجَ نفرٌ من يهود بني النضير ، وبني وائل إلى مكة . . حتى قدِموا على

مشـركي قريشٍ . فـأوغروا صـدورَهم . . وحرّضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وقالوا :

ـ إنا سنكون معكم عليه . . حتى نستأصلَهُ فلا تقوم لهُ ولدينهِ قائمةٌ في الأرض . .

وردَّ المشركون من قريشٍ قائلين :

ـ يا معشرَ يهود ! . . إنكم أهلُ الكتاب الأول . . والعلم بما أصبحنا نختلفُ فيه نحنُ ومحمد . . أفدينُنا خيرٌ أم دينُه ؟! . .

ـ قالوا : بل دينكم خيرٌ من دينهِ . . وأنتم أولى بالحقّ منه . .

وسرَّ ذلك قريشاً . . فنشطوا لما دعوْهم إليه من حرب رسولِ اللهِ والمسلمين . . فاجتمعوا لذلك . . . واتّعدوا له . . .

ثم خرج أولئك النفر من اليهود . . حتى قدِموا على (غطفان) . . فدعَوْهم إلى حرب النبي والمسلمين . . وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه . . وأن قريشاً قد ظاهروهم على ذلك . . فاجتمعت غطفان وتأهبت لذلك . . .

وهكذا ألَّبَ اليهودُ أحزابَ الكفرِ على الإسلامِ وأهلِهِ . . وخرجت قريشٌ وعلى رأسها أبو سفيان بنُ حرب . . وخرجت (غطفان) وكان قائدَها عيينةُ بنُ حصن . . .

ولما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم باجتماعِ أحزابِ الكفر على قتاله . . أقام في أصحابه متحصناً بالمدينة . . وكان أن أشار عليه (سلمانُ الفارسيُّ) بحفر الخندق حول المدينة . . فأمر رسولُ الله بحفرِهِ . . وأعان

المسلمين في ذلك ترغيباً لهم في الأجر . . وعمل معه المسلمون فيه . . فدأبَ فيه ودأبوا . . بينما أبطأ المنافقونَ عن المشاركةِ في هذا العمل العظيم . .

ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الخندقِ . . أقبلت قريش في عشرة آلاف من حلفائهم . . وأقبلت (غطفان) ومن تبعهم من أهل نجدٍ . . فكان المشركون من قريشٍ في جانب . . وغطفانُ في جانبٍ . . فخرجَ إليهم رسولُ اللهِ في ثلاثةِ آلافٍ من المسلمين . . وضرب عسكرَهُ حيث جعل الخندقَ بينَهُ وبين الأحزاب . .

وخرجَ عدوُّ اللهِ حُيَيُّ بنُ أخطب النضري اليهودي . . حتى أتى كعب بن أسدٍ القرظي

قومه (بني قريظة) .. وعاقده على ذلك وعاهده .. فلما سمع كعب بحُيَيْ بنِ أخطب .. أغلق باب حصنِهِ .. فاستأذنَ عليهِ .. فأبى أن يفتح له .. فناداهُ حييّ :

ـ ويحك يا كعب !.. إفتح لي ..

ـ قال : ويحك يا حيي !.. إنك امرؤٌ مشؤوم .. وإني قد عاهدتُ محمداً .. فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينهُ .. ولم أرَ منهُ إلا الصدقَ والوفاء ..

ـ قال حيي : ويحك !.. افتح لي أكلمك ..

ـ قال : ما أنا بفاعلٍ ..

ولما عرفَ حييّ هذا الإصرار .. أثار حفيظة كعبٍ بقوله :

ـ واللهِ . . ما أراك أغلقتَ دوني إلاّ عن بخلك . . وخوفكَ أن آكل معك ! . .

فلم يكن من كعبٍ إلا أن فتح لحيي بنِ أخطب فبادره بقوله : ويحكَ يا كعب ! . . جئتُكَ بعزّ الدنيا . . جئتُكَ بقريشٍ على قادتِها وسادتِها . . حتى أنزلتهم بالوادي . . وجئتُك بغطفان على قادتها وسادتِها . . حتى أنزلتُهم إلى جانبٍ آخر . . قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصلَ محمداً ومن معه . . فقال له كعب بن أسد :

ـ قد جئتني والله بذلّ الدهر . . ويحك يا حيي ! . . فدعني وما أنا عليه . . فإني لم أرَ من محمدٍ إلا صدقاً ووفاءً . .

ولكنَّ حيي بنَ أخطب لم يزل بكعبٍ حتى

لقد طمأن اليهوديُّ الحاقدُ صاحبَهُ بأن يدخلَ معه في حصنهِ حتى يصيبَهُ مثلما يُصيب كعباً . . إذا ما رجعت قريشٌ وغطفانُ عن قتال محمد . . .

ولما انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم خبر نقضِ (بني قريظة) العهد . . بعث سعدَ بنَ معاذٍ . . وسعد بنَ عبادة . . سيدَي الأوس والخزرجِ من الأنصار . . وبعث معهما عبدَاللهِ بنَ رواحة . . وقال لهم : انطلِقوا حتى تنظروا . . أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا . . فإن كان حقاً . . فالحنوا لي لحناً أعرفه [أي كنّوا ولا تصرِّحوا] مخافة أن يفُتَّ ذلك في أعضادِ المسلمين . . وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك للناس . . .

وخرجَ الثلاثةُ حتى قدِموا على بني قريظةَ

من يهود المدينة . . فوجدوهم على أخبثِ ما بلغَهم عنهم . . فيما نالوا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . . حيث قالوا لابن رواحة وصاحبيه :

مَنْ رسولُ الله ؟! . . لا عهدَ بيننا وبين محمدٍ ولا عقد . .

فشاتَمهم سعدُ بنُ معاذٍ وشاتموهُ ـ وكان رجلاً فيه حِدَّةٌ .

ـ فقال له سعدُ بنُ عبادةَ : دَعْ عنكَ مشاتمتَهُمْ . . فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمةِ . .

ورجع المسلمون الثلاثةُ فسلّموا على رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم . . ثم قالوا :

ـ عضل . . والقارة . . ـ أي أن حال

والقارةِ بأصحاب الرجيع ـ . .

فقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم : « اللهُ أكبرُ . . أبشروا يا معشر المسلمين » . . .

وعظُم البلاءُ . . واشتدَّ الخوفُ . . وأقبلت جيوشُ الأحزاب فعسكرت قريباً من المدينة . . من كل صوبٍ . . حتى ظنَّ المؤمنون الظنون . . ونجمَ النفاق من بعضِ المنافقين حتى قال معتب بن قشير المنافق : كأنَّ محمداً يعِدُنا أن نغنمَ كنوز كسرى وقيصر . . وإن أحدَنا اليوم لا يأمنُ على نفسهِ أن يذهبَ إلى الغائط ؟! . .

* * *

- ٣ -

« إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه ومعنوياتهم » .

- روميل -

لم يكن حصارُ المشركينَ الذي دامَ أكثر من عشرين يوماً هو وحدَه الذي يضيقُ الخناقَ على المسلمين . . فقد كان في جبهتهم الداخليةِ نفاقُ المنافقين . . ونقضُ بني قريظةَ العهدَ . . وكان الذي يزيدُ المسلمين إرهاقاً وخوفاً وعناء . . قلةُ الأقواتِ التي كانت تتناقصُ يوماً بعدَ يوم . . وشبحُ الجوعِ الذي لا يرحمُ . .

والريحُ تعوي وتصفر في كل اتجاه . . .

واجتهد رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم في تقوية معنوياتِ جندهِ . . حتى يوقنوا بأن الضائقةَ لا بدَّ أن تمرَّ وتنقشعَ . . ثم يستأنفُ الإسلامُ مسيرَهُ بعدُ . . فيدخلُ الناسُ فيه أفواجاً . . وتندكُّ أمامَهُ معاقلُ الظلم . . ومن إحكام السياسة أن يقارنَ هذا الأملُ الواسعُ مراحلَ الجهد الشاقّ المضني . . .

وحركت الآمالُ نفوسَ المسلمين . . وزاد من قوة معنوياتِهمْ وصمودِهم تلكَ الأمثلةُ الشامخةُ من التضحيةِ والصبرِ والبطولةِ . . التي ضربها بعضُ إخوانهم . . فكانت في قلبِ المحنة شرراً . تحرّكَ المقاتلونَ على ضوئِهِ إلى

أهدافِهِمْ . . دفاعاً عن المصير الذي صاغوا بدمائِهِمْ وأعصابِهِمْ جوانبَ منه . . وسيظلّونَ يجاهدون لإتمامِ صياغتهِ إيماناً واحتساباً في سبيل الله تعالى . . .

وعلى الجبهةِ العسكريـةِ . . لم يدَعِ الرسولُ وأصحابُهُ ثغرةً ينفذُ منها العدوُّ . . ولا قصّر في جانبٍ يمكن أن يعزّزَ خطةَ الدفاعِ والمقاومةِ إلّا اعتمدَهُ ونفَّذَهُ بأقصى سرعةٍ . . وها هو الآن يسعى إلى تفتيتِ جبهةِ الأحزاب . . إدراكـاً لـدورِ الحـرب النفسيـةِ في مصيـرِ المعركة . . فقد بعث رسولُ اللهِ إلى قادةِ غطفان يُغريهم بثلثِ ثمر المدينةِ . . علَى أن يرجعوا بمن معهم . . وما لبثت هذه الاتصالاتُ أن انتهت إلى كتابةِ وثيقةِ صلحٍ بين الجانبين . . تعمّد الرسولُ القائدُ أن يؤجلَ توقيعَها . . ريثما

إلى سعدِ بنِ معاذٍ وسعدِ بنِ عُبادةَ وعرض عليهما الأمر . . فلما استعلما منه . . وعرفا أن ذلك لم يكن عن وحي وإنما هو رأي حربيّ قد ارتآهُ لما رأى أحزابَ الكفرِ محدقةً بالمسلمين . . أجابه سعدُ بنُ معاذٍ قائلاً :

ـ يا رسولَ اللهِ !. . إنا واللهِ كنا على الشرك مع هؤلاء الأحزاب . . ولم نكن نتركهم يطمعون أن يأكلوا ثمرةً من ثمار المدينة . . أفحِينَ أكرمَنا اللهُ بالإسلام وهدانا له . . وأعزّنا به وبكَ نعطيهم أموالنا ؟!. . لا والله لا نعطيهم إلا السيفَ . . حتى يحكُمَ اللهُ بيننا وبينهم . . .

وأرسلَ النبيُّ إلى غطفانَ بإلغاء هذهِ الصحيفة . . بعدما اطمأنَّ إلى رغبةِ أصحابه

جميعاً . . والأنصار خاصةً في الصمود حتى النهاية في وجه الأحزاب . .

وما لبثت العنايةُ الإلهيةُ أن ساقت إلى رسولِ اللهِ رجلاً من غطفانَ يدعى : نعيمَ بنَ مسعودٍ . . قد جاءَهُ معلناً إسلامه . . ويعرضُ على النبي خدماتهِ قائلاً :

ـ إن قومي لم يعلموا بإسلامي . . فمُرني بما شئتَ يا رسولَ الله ! . .

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « إنما أنتَ فينا رجلٌ واحدٌ . . ولكن خذِّل عنا في صفوفِ الأعداءِ إن استطعتَ . . فإن الحرب خدعة » . . .

وإذن فقد كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يدركُ أن للرجلِ الواحدِ في مجال الحرب

النفسيةِ فعل جيشٍ باسره .. ومن هنا فقد اراد أن يكسب الحـربَ بأقـلِّ قدرٍ ممكنٍ من التضحياتِ والجهودِ .. كما أرادَ أن يبدأ بغزو الأحزاب ومقارعتهِمْ في جبهتِهِمْ الداخليةِ .. التي تشتت شملهم إذا ما تصدّعت .. وتفرّقت كلمة أهلها ...

ألم يقُلْ ونستون تشرشل : كثيراً ما غيرت الحربُ النفسيةُ وجهَ التاريخ ؟!..

إن الحـرب النفسيـة أخـطرُ أنـواعِ الحروب .. لأنها تستهدفُ عقلَ المقـاتلِ وتفكيرَه وعواطفَهُ ومعنوياته .. إنها تحطم روحَهُ المعنويةَ .. وتقضي على إرادةِ القتال عنده .. وتقودُه بالتالي إلى الهزيمةِ المحققة ...

* * *

- ٤ -

« لكي تنتصر دولة ما في حرب .. عليها أن تشنَّ الحرب النفسية قبل أن تتحركَ قواتُها إلى ميادين القتال » . . .

- ديجول -

إنني أعلمُ أنَّ قارئي الكريمَ يصبو إلى متابعةِ قصة نعيم بن مسعود الغطفاني . . غير أني أستأذنه . . لنتعرفَ على ماهية الحرب النفسية في الاستراتيجية العسكرية . . ليمكن من ثمَّ متابعة خطواتِ نعيم بن مسعودٍ . . وهو يقوم بهذه المهمة العظيمة . . التي استحقَّ بها وسام

(رائد الحرب النفسيه في الإسلام) . . .

يعرِّف الباحثون العسكريون الحرب النفسية بأنها : الاستخدامُ المخطط للدعايةِ أو ما ينتمي إليها . . من الإجراءاتِ الموجهة إلى الدولِ المعاديةِ أو المحايدةِ أو الصديقة . . بهدف التأثير على عواطف وأفكارِ وسلوك شعوبِ هذه الدول بما يحقق للدولة الموجِّهة أهدافها . .

وأهدافُ الحرب النفسية تختلفُ باختلافِ وصف الدولةِ التي توجَّهُ إليها :

ـ فمع الدولِ المعادية : يكون الهدفُ هو التأثيرَ على عواطفِ وأفكار وسلوكِ شعوب هذه الدولِ وجيوشِها . . لتحطيمِ روحِها المعنويةِ وإراداتِها القتاليةِ وتوجيهها نحو الهزيمة . . .

ـ ومع الدولِ المحايدةِ : يكون الهدفُ هو

التأثيرِ على عواطفِ وأفكارِ وسلوكِ شعوب هذه الدولِ لتوجيهها نحو الانحياز للدولةِ الموجِّهةِ . . أو التعاطفِ مع قضيتها . . أو على الأقلِّ : البقاء في وضعِ الحيادِ ، ومنعِها من الانحياز إلى الجانب الآخر . . .

ـ ومع الدول الصديقةِ : يكون الهدفُ هو التأثيرُ على عواطفِ وأفكارِ وسلوكِ شعوب هذه الدولِ . . لتوجيهها نحو تدعيم أواصرِ الصداقةِ مع الدولةِ الموجِّهةِ . . ونحو المزيدِ من التعاونِ لتحقيقِ أهدافها . . .

وتحقق الحربُ النفسيةُ هدفها في تحطيم روحِ العدوّ المعنوية وإرادتهِ القتالية من خلال المهام الرئيسية الآتية :

ـ تشكيكُ العدوّ في سلامةِ وعدالةِ الهدف الذي يحاربُ من أجله . .

الرجالُ والعتادُ والقادةُ . . وثقته في إمكان إحراز النصر . . وإقناعُهُ بأنه لا جدوى من شنِّ الحرب أو الاستمرار في القتالِ . . .

ـ بثُّ الفرقةِ والشقاقِ بين صفوفِ العدوّ وجماعاته . .

ـ تحييدُ القوى الأخرى وحرمانُ العدوّ من محالفتها . .

ـ التفريقُ بين العدوِّ وحلفائه ودفعهم إلى التخلّي عن نُصرتِه . .

وهـذه هي المهمة التي أوكلت إلى الصحـابي الجليـل «نعيمِ بـنِ مسعـود الغـطفاني» . . رائـد الحـرب النفسيـةِ في الإسلام . . وقد شهد التاريخُ لهذا المسلمِ الفذّ

أنه قام بدورِهِ على أكمل وجهٍ .. ونفذ مهمتَهُ بدقةٍ وسريةٍ وذكاء .. وبأسلوبٍ بارعٍ حاذقٍ .. بحيثُ حققت مهمتُهُ هدفَها المرسومَ لها .. في الوقيعة بين أحزاب الكفر المتحالفة .. وفي زعزعةِ الثقةِ فيما بينهم .. ولم يكن نصيبُ المسلمين من نجاح غزوةِ الأحزاب بالخندقِ الذي أشار سلمانُ الفارسيُّ بحفرِهِ .. أوفرَ من نصيبِهِمْ من النجاحِ وتحقيقِ النصرِ بما أوكل إلى نعيم بن مسعود من مهمة الحرب النفسية ...

«إن معركة الأحزاب لم تكن معركةَ خسائر .. بل كانت معركةَ أعصاب .. إن مصير هذه الرسالةِ العظمى كان فيها أشبهَ بمصيرِ رجلٍ يمشي على حافةِ قمةٍ سامقةٍ أو حبلٍ ممدودٍ .. فلو اختلَّ توازنُهُ لحظةً .. وفقد السيطرةَ على موقفِهِ .. لهوى من مرتفعِهِ إلى وادٍ سحيقٍ ..

لنمزق الأوصال .. لنمزع الأشلاء ...

ولقد أمسىٰ المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرةِ المنقطعةِ وسطَ طوفانٍ يتهدّدها بالغرق في كل لحظة .. وبين الحينِ والحينِ .. يتطلّعُ المدافعون : هل اقتُحمتْ خطوطُهم في ناحيةٍ ما من منطقة الدفاع؟! وكان المشركون يدورونَ حولَ المدينةِ غضاباً .. يتحسسون نقطةً ضعيفةً لينحـدروا منهـا .. لينفّسـوا عن حنقهم المكتوم .. وغيظهم المشبوب .. ويقطّعـوا أوصالَ هذا الدينِ الثائر» !..

* * *

- ٥ -

« وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ وكان اللهُ قوياً عزيزاً » .

ـ سورة الأحزاب ـ

كان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلمَ . . يـدركُ مدى التصـدعِ الخفيِّ في صفوفِ الأحزاب . . رغم ما يبدو من وحدتهم واجتماع كلمتهم على حرب الإسلام . . فاجتهدَ ﷺ أن يعمّق ذلك التصدّعَ . . ويستغلّهُ لجانبه . . فلما جاءه نعيمُ بنُ مسعودٍ مسلماً أوصاهُ أن يكتمَ إسلامَهُ . . وردّه على المشركين يوقعُ بينهم . .

وسار (نعيم) بستار الليل . .

وكانت وجهته أولَ ما توجَّه إلى يهودِ بني قريظة . . استشعاراً لخطرهم لكونهم في المدينةِ . . وعلى احتكاك شبهِ مباشرٍ مع الصفوفِ الإسلامية . . وأتى (نعيم) بني قريظة ـ وقد كان نديماً لهم أيام الجاهلية ـ فقال لهم :

ـ يا بني قريظة ! . . قد عرفتم مدى ودّي إياكم . . والعلاقة الطيبة التي تربطني بكم . .

ـ قالوا : صدقتَ يا نعيم . . لستَ عندنا بمتهمٍ . . فما أمرُك ؟!

ـ قال : إنَّ قريشاً وغطفانَ يختلفُ أمرهم عنكم . . وليسوا فيما أنتم فيه . . إن المدينةَ بلدُكم . . فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم . . لا تقدرون على أن تغادروه إلى سواه . . وإنَّ قريشاً

وغطفان قد جاءوا لحرب محمدٍ وأصحابهِ .. وقد ظاهرتموهم عليه .. وبلدُهم ونساؤهم وأموالهم بغيره .. فليس أمرُكم كأمرِهم .. فإنّ أولئك إنْ سنحت لهم فرصةٌ أو نهْزةٌ أصابوها .. وإن كان غير ذلك.. لحِقوا ببلادِهم .. وخلّوا بينكم وبين محمدٍ ببلدكم .. ولا طاقةَ لكم بهِ إن خلا بكم .. فلا تقاتِلوا مع القومِ حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافِ رجالِهِمْ .. يكونون بأيديكم .. ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه .. فقال بنو قريظةَ وقد أثار نعيم حفيظتَهم :

- لقد أشرتَ بالرأي واللهِ يا نعيم !..

وغادر نعيمٌ بني قريظة وهو يقول : اكتموا عني هذا .. لا تحدّثوا أحداً بمجيئي إليكم يا

وبينكم . . ولولا ذلك ما أتيتكم . . فاكتموا عني .

ثم خرج نعيمُ بنُ مسعودٍ حتى أتى قريشاً . . فقال لأبي سفيانَ ومن معه :

ـ قد عرفتم يا معشرَ قريشٍ ودّي لكم . . وفراقي محمداً . . وإنه قد بلغني أمرٌ رأيتُ عليَّ حقاً أن أبلغكموهُ . . نصحاً لكم . . فاكتموا عني . .

ـ قالوا : نفعلُ . . فما أمرُك يا نعيم ؟! . .

ـ قال : لا يخفى عليكم يا معشرَ قريشٍ أن معشر (يهود) قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبينَ محمدٍ . . وقد أرسلوا إليهِ :

ـ إنا قد ندمنا على ما فعلنا . . فهل

يُرضيكَ أن نأخذَ لك من القبيلتين (قريشٍ) و (غطفان) رجالاً من أشرافِهِمْ .. فنُعطيَكَ إياهم .. فتضربَ أعناقهم ..

ـ فأرسلَ إليهم محمدٌ : أن نعم ...

فإن بعثَت إليكم اليهودُ يلتمسونَ منكم رهناً من رجالكم .. فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً ...

ثم خرجَ نعيمُ بنُ مسعود بعدما استكتم قريشاً أمره .. فأتى (غطفانَ) قبيلته فقال لهم :

ـ يا معشرَ غطفان ! .. إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناسِ إليَّ .. ولا أراكم تتهمونني ..

ـ قالوا : صدقتَ .. ما أنت عندنا

بألسنتهمٍ .. كما الأمر !!..

ـ قال : تكتمونَ عني ؟!.. قـالوا : نفعل ...

فقال لهم مثلما قال لقريشٍ .. وحذّرهم ما حذرهم ..

وكان من صنع الله لرسولهِ وأوليائهِ وحملةِ دعوته .. أنَّ أبا سفيان وقادة غطفانَ أرسلوا إلى بني قريظة .. وكان رسولَ أبي سفيان إليهم عكرمة بن أبي جهل .. في نفر من قريشٍ وغطفان .. فلما كلّموهم .. وأمروهم بالخروج معهم للقتال قالوا :

ـ إن اليومَ يومُ السبت .. وهو يومٌ لا نعملُ فيه شيئاً .. ولسنا مع ذلك بالذين نقاتلُ معكم محمداً .. حتى تعطونـا رهناً من أشـرافِ

رجالكم . . يكونون بأيدينا ثقةً لنا حتى نُناجِزَ محمداً . . فإنا نخشى إن طحنتكم الحربُ واشتدّ عليكم القتالُ . . أن تلوذوا ببلادكم . . وتتركونا مع محمدٍ في بلدِنا . . ونحن لا طاقةَ لنا بذلك منه . . .

فلما رجعَ عكرمةُ وأصحابُهُ إلى قريشٍ وغطفانَ بما قالت بنو قريظةَ . . قالوا :

ـ واللهِ إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحقّ . . . فأرسِلوا إلى بني قريظة بأنا لن ندفعَ إليهم رجلاً واحداً منا . فإن كانوا يريدون القتال . . فليخرجوا وليقاتلوا . .

وعندما انتهت رسلُ قريشٍ وغطفان بذلك إلى بني قريظة قالوا :

ـ إن الذي ذكر لكم نعيمٌ لحقٌّ . . ما يريدُ

[illegible]

انتهزوها . . وإن كان غير ذلك التحقوا ببلادهم وخلّوا بيننا وبين محمد . . ونحن نعلم أن لا طاقة لنا به . . .

. . . وهكذا أفلحت الحربُ النفسيةُ الموجَّهةُ في تمزيق عُرا التحالفِ بين أحزاب الكفر . . فلم تكد تمضي ثلاثةُ أسابيعَ على ذلك الحصارِ المضروب من حول المسلمين . . حتى دبَّ القنوطُ والتخاذُلُ في صفوفِ الأحزاب . . وبقيت جبهةُ المسلمين المدافعين سليمةً لم تثلَم . . وكانَ ذلك بدايةَ النصرِ الذي بدأ يلوحُ في الأفق . . .

وأتمَّ اللهُ نعمتَهُ على أوليائه . . فأرسلَ على الأحزابِ رياحاً شتائيةً شديدةً جعلت تكفأ

قـــدورَهم . .   وتـــطرحُ آنيتَهُمْ . .   وتنتـــزعُ خيامَهُمْ . . فلم يعُدْ يقرُّ لهم معها قرارٌ . . وغدَوْا في اضطرابٍ شديدٍ من أمرِهم* . . وزئيرُ الرياحِ الهوجِ سياطٌ تلهبُ وجوهَهُم . . . ورسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من وراء أسوار المدينةِ يرقبُ هذا الموقفَ هو وصحبُه . . والظلامُ الباردُ الثقيلُ يرينُ على كلِّ شيء في الصحراء المترامية . . .

وجلجل في الأفقِ صوتُ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم وهو يقول :

ـ لا إلَهَ إلا الله وحدَهُ . . صدَقَ وعدَهُ . . ونصَرَ عبدَهُ . . وأعزَّ جندَهُ . . وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ . . فلا شيء بعدَه ! . . الآنَ نغزوهم ولا يغزوننا . . .

إنه نصر اللهِ الذي أكرم بهِ أولياءه . . بلما
صبـروا وصـابـروا وجـاهـدوا في الله حقَّ
الجهاد . . . وصدقَ الله العظيم : ﴿ وردَّ اللهُ
الذين كفروا بغيظِهِمْ لم ينالوا خيراً وكفى اللهُ
المؤمنين القتالَ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ . . .

* * *

إقرأ

في الحلقة التالية من الأوائل

صلح الحديبية

أول معاهدة صلح في الإسلام